IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)
Journal of Language Studies
Contents available at: http://www.iasj.net/iasj/journal/356/about

Alienation and Estrangement in Gibran Khalil Gibran's Poems

Ari Ali Hasan *
University of Charmo - College of Education and Languages - Department of Arabic Languages - Literature
ariali1234321@gmail.com

&

Asst. Prof. Dr. Azad Abdul Rashid
University of Charmo - College of Education and Languages - Department of Arabic Languages - Literature
azad.abdoul@charmouniversity.org

Received: 20 /10 /2022, **Accepted:** 27 /11/2022, **Online Published: 20 / 12/ 2022**

Abstract

In this Research we have tried to shed light on the topic of alienation and estrangement in Gibran Khalil Gibran's poetry, which is of a Lebanese origin (1883 – 1931), and is considered to be one of the prominent poets of Northern Diaspora School. This poet who shook the theme of loss and its repercussions depicted by estrangement and alienation as the cornerstone of his life like a storm that came devastatingly because of the death of his mother and brothers early in his life, living at the time and circumstances when he was a an alienated worker in the United States of America, the bitterness of inner pain which devoured him, agonizing anxiety, self-destruction, impaired and distorted thinking, disturbance of the psychological mood, the conditions of the Lebanese occupation by the Turks, and the consequences of the conflicts that brought calamities to the Arabian countries.

The phenomenon of alienation and estrangement has been linked, in our Arabic literature, to the class and bureaucratic tyranny, the absence of freedom, subversive traditions and loss of trust in many systems and principles. In the light of all these difficult circumstances and Gibran's firm faith and certainty that he came to this life bearing a message, he wanted to disarrange the poetical rhymes and rhythms of life and turn them to prose and rearrange the prose of life into poetical rhymes and rhythms.

* **Corresponding Author**: Ari Ali **, E.Mail**: ariali1234321@gmail.com
Tel: +9647701900330 **, Affiliation**: Charmo University - Iraq

The result was sighing estrangement, inhibited in his subconscious, to the linguistic surface in his poetic speech and language with the finest forms and creative and aesthetic expressions .

Keywords: alienation, estrangement, Gibran Khalil Gibran, poetry, reasons, expatration, pain, anxiety and motivation, self-balance, factors.

الغربة والأغتراب في شعر جبران خليل جبران

ئاري علي حسين

جامعة جرمو – كلية التربية واللغات

و

ا.م.د. ئازاد عبدول رشيد

جامعة جرمو – كلية التربية واللغات

الملخص: في هذا البحث حاولنا تسليط الضوء على موضوع الغربة والإغتراب في شعر جبران خليل جبران اللبناني الأصل(1883–1931)،والذي يعد واحداً من أبرز شعراء مدرسة المهجر الشمالي، هذا الشاعر الذي هزَت ثيمة الفقد وتداعياتها المتمثلة بالغربة والأغتراب الحجر الزاوية في حياته كعاصفة هوجاء مدمرة نتيجة موت أمّهِ وإخوتِه منذ وقت مبكِر في حَياتهِ ،وعَيشِهِ في زَمن وضُروف كانت عاملا في غُربتِه الى الولايات المتحدة الأمريكية،وتجرعه مرارة الألم الداخلي والقلق المضني،وتشتت الذات، وإعاقة التفكير وتشويشه، وتعكير المزاج النفسي، ضروف الأحتلال اللبناني من قبل الأتراك،وتبعات الصراعات التي أتى الويلات والمجاعات للبلدان العربية. إن ظاهرة الغربة والأغتراب في أدبنا إرتبطت بإحتدام الصراع الطبقي والبروقراطي وغياب الحرية والتقاليد الهدَامة، وفقدان الثقة بكثير من الأنظمة والمبادئ، فَفي ضل كل هذه الضروف الصعبة وفي ضل إيمان جبران الراسخ ويقينه بأنّهُ أتى الى هذه الحياة حاملا رسالةً ، مفادها نَثر ما نَظَمتهُ الحياة و نَظم ما نَثَرتهُ من جديد حسب رؤياه، فكانت النتيجة صعود الزفرات الإغترابية المحتدمة في باطنه الذاتي الى السطح اللغوي في خطابه الشاعري ولغتهِ الشعرية بأروع الأشكال و التعابير الأبداعية والجمالية.

الكلمات الدالة: الغربة، الإغتراب، جبران خليل جبران، الشعر، الأسباب، الهجرة، الألم، التوازن النفسي، العوامل.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلات والسلام على سيد الخلق والمرسلين محد بن عبد الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين ...أما بعد ..

لكل شاعرٍ ثيمته التي يتكئ عليها وهو يتحرك داخل حيز اللغة، ولكل متلقٍ صورةٌ محببة عن ثيمة معينة لشاعر ما، ولكن من الصعب أن تجتمع هذه الثنائية إلا لدى مطلع عالم بأسرار الجمال والتلقي الحاذق للفن بشكل عام ، وهذا حقًا ما فعله معي القدر وأنا أبحث في هذا الفضاء الشعري الكبير عن اسم لامع، ومن غير توهم ساقني الطريق إلى الشاعر والكاتب الكبير (جبران خليل جبران) الذي تميّزَت تجرِبتهُ بالفقد ولحزن وألم الغربة و الإغتراب،فبالرغم من وجود دراسات سابقة كثر عن نتاجات وكتابات هذا الشاعر المبدع ك (تجليات الحزن في الأجنحةالمتكسرة) و(الحنين الى الأوطان في الشعر المهجري) و(المكان عند أدباء المهجر) إلاَ أن هذه الدراسات لم تمس في متنهاوجوهرها موضوع الغربة والأغتراب والتي هي من تداعيات الفقد بمعناها الأوسع،فهذه الدراسات إقتصرت على ذكر إشارات كشواهد لتجلي الحزن أو الحنين الى الوطن والإشادة بها في قصائد الشاعر.فجبران الشاعر يمتلك الأحاسيس الفياضة المعبّرة بصدق عن عاطفةٍ جيّاشةٍ متقدةٍ بعيدةٍ عن التكلّف والتصنّع إثر غربته واغترابه وتمثلاتهاوالتي كما يراها الباحث العنصر المهيمن في أدبه وتستحق دراسات أدبية أوسع وأعمق وبطرق ووسائل علمية، وذلك لأنّ الموقفَ لا يحتمل غير الصدقِ الناشئ عن مرارةِ الفقد وقسوت إنعكاساته على كيان وروح هذا الانسان العفوي النقي والذي لم أستطع أن أقاوم جمال شعريته ورقة روحه لكشف مضامين هذه التجربة الأنسانية والقيم الفنية لنستخلص الأحاسيس التي وجدناها مبثوثة في أعمال جبران وبيان مدى تأثيرالغربة وتداعيات شتّى الإغترابات(النفسية،الأجتماعية،الوجودية،الجدلية،اللغوية،التوترية) في الحياة وتنوعه الثقافي في الأبداع الشعري. إقتضت هذه الدراسة أن أقسمه الى تمهيد والذي تناولت فيه معنى وتعريف الغربة والإغتراب لغةَ وإصطلاحاَ، ومبحثين في المبحث الأول تطرقت الى الحديث عن مفهوم الغربة وأسبابها ثم الغوص في عالمه الشعري وإبراز القصائد والأبيات الشعرية التي تمثل ثيمة الغربة ودراستها وتحليلها. أما المبحث الثاني فكان بعنوان الأغتراب في شعر جبران خليل جبران،ففيها درستُ أشعاره متسلطاَالضوء على الأشكال الإغترابية وإغترابات الشاعر المتشابكة المسببة لولادة آلام متعددة والقلق المضني،وتشتت الذات والشعور بغرابة كل شيء في هذه الحياة معتمداً على المنهج التحليلي النفسي ونظريات علوم النفس لفرويد ،واصول علم النفس لأحمد عزت راجح وعلم النفس العام لخالد إبراهيم الفخراني محاولاَ معرفة الدوافع – الدوافع توجه السلوك الفردي إلى تحقيق هدف معين في العالم الخارجي– النفسية والأجتماعية وراء الأبداعات الرائعة للشاعر لتأتي الخاتمة ذاكرةً أهم النتائج التي توصلناااليها.

التمهيد

الغربة والإغتراب لغة وإصطلاحاً

الغربة لغةً وإصطلاحاً : الرجوع إلى الأصل اللغوي لمصطلح الغربة في العربية نجده يعود إلى الجذر اللغوي الْغَيْنُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ.فَالْغَرْبُ: حدُّ الشَّيء. يقال: هذا غَربُ السَّيفِ. ويقولون: كَفَفْتُ مِنْ غَرْبِهِ، أَيْ أَكْلَلْتُ حَدَّهُ. وَالْغُرْبَةُ: البُعدُ عن الوطن، يقول جبران في قصيدته(وداعا أيها الخدن الحبيب) :

إذا ما بان أترابي فإني

لفي أهلي و في وطني غريب

أي بعيد عن أهلي ومَن في سني و بعيد عن وطني ديوان جيران خليلن،دت ،ص143

يقال: غَرَبَتِ الدَّارُ. ومن هذا الباب: غُرُوبُ الشَّمْسِ، كَأَنَّهُ بُعدُهَا عن وَجْهِ الْأَرْضِ. وَشَأْوٌ مُغَرَّبٌ، أَيْ بَعِيدٌ(أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، 2017، ص420 ،باب الغين و الراء، معجم مقايس اللغة). وشبَّهت الحكماء الغريب باليتيم اللَّطيم الذي ثكل أبويه، فلا أُمَّ ترأمه، ولا أبَ يحدب عليه،وقيل لبعض الأعراب: ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان. قيل: فما الذّلّة؟ قال: التنقُّل في البلدان، والتنحِّي عن الأوطان. (الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، 1983 م،ص 391). أما إصطلاحاً فإن الغربة هي أحدى سمات الشخصية الغير متوافقة فعندما يكون الإنسان غير متوافق مع بيئته فإنه عند ذلك يشعر بغربةعن مجتمعه.(الكبيسي ، عبدالواحد حميد ،الحياني ،صبري بردان ،2012م،ص237) وتعد سمة جوهرية للوجود الإنساني، إذ يمكن رصدها في المجتمعات كافة، وعبر الأزمان كلها، إذ حمل الإنسان آلام الابتعاد عن موطنه وأهله ومراتع الصبا في جوانحه، منذ أن بدأ حياته في الأرض، فقد مثلت ضروبًا ولوّنت أدبه بهذا الإحساس.

الاغْتِراب لغةً وإصطلاحاً: لغةً إشتقت من معاني مادة (غَرَبَ) نلحظ أن ألفاظ غرب وغربة واغتراب والغرابة والاستغراب... والكلمات المشتقة منها، قد أُستعملت في التراث العربي على نحو جلي، إذ تتسع لعدد كبير جدًا من المعاني، يمكننا ردها إلى معنى واحد تقريبًا، وهو البعد والمفارقة والتباين، أو الانفصال عن شيء أو شخص ما (سلامي،سميرة،2001م،ص16) والملحوظ أنَّ هذه المقتبسات تمتلك ثراءً غير ضنين بالدلالات العميقة، إلا أنها لا تكاد تخرج عن دائرة السديم–مجموعة نجوم تجتمع حول نفسها – المعجمي لمعنى الاغتراب.

أما اصـطلاحاً فكلمة الإغتراب قد اسـتعملت قديمًا للتعبير عن الإحسـاس الذاتي بالغربة، ويذكر الدكتور حسـن محمود حماد: (إن المقابل للكلمة العربية "اغتراب" أو "غربة" هو الكلمة الإنجليزية "Alienation" وفي الفرنسـية "Alienation" الألمانية "Entfremdung"، وقد اشـتقت كل من الكلمة الانجليزية والفرنسية أصـلها من الكلمة اللاتينية "Alienatio" وهي اسم مسـتمد من الفعل اللاتيني "Alienare" الذي يعني نقل ملكية شـيءٍ ما إلى آخر، أو يعني الانتزاع أو الإزالة وهذا الفعل مسـتمد بدوره من كلمة أخرى هي "Alienus" أي الانتماء إلى شـخص آخر أو التعلق به، وهذه الكلمات الأخيرة مستمدة في النهاية من اللفظ "Alius" الذي يدل على الآخر سواء كأسم أو كصـفة).(د.حسـن،حمادة،2005م،ص61). رغم أنّ بعض المعاجم اللغوية والأدبية ربطت بين الغربـة والإغتراب لأن جذورهما أخذ من مـادة (غرب)،إلاّ أنّ هنـاك فروقـات بينهمـا من حيث المدلول ،فكيفما كانت الغربة تعني الأنتقال أو النأي أو التنحي أو النزوح إلاّ أنه سـيظل مفهوماً يشير الى خارج الأنساني ،أما الأغتراب فإنه يشير الى داخل الأنساني، وفنقول تغرّب غربةً لمن نأى أو هجر أو سـافر،و إغترب إغتراباً لمن بدء يعاني يتكبد من أثر غربته ،فالعلاقة بين الغربة والإغتراب علاقة سبب ونتيجة فالغربة هي سبب إحساس المرء بالأغتراب ، ومن جهة أخرى نجد أن الغربة واحدة أماّ الإغتراب مسـتويات ،فقد يبدأ شـخصـان العيش في الغربة معاً ولكن درجة الشـعور بـألإغتراب تختلف .(خفـاجي عبـدالجواد،الفرق بين الغلربـة والإغتراب). kenanaonline.com فالغربـة كما يراها البـاحث تخـالف الكثير من قوانين الحيـاة ،فـالمرء عندمايبتعد عن المباني والأجام الكبيرة تصـبح صـغيرة أمام عينيه،ولكن الغربة يجعل الوطن والأهل والأصـحاب أكبر وأحب في قلوب البشـر،فالأنباء والأخبار الغير سـارّة تصـل في ذهن المغترب الى كمال سلبي،فالغربة يجعل القوي ضـعيفا والمتحمس محبطاومتكاسـلا ونمو الأنسـان مشـوها،لأن روح الأنسـان تكون مسـجوناولا يتلائم معها سـجون الأجسـاد،قلّة من يتحملون شـدة الغربة،وهي من أصعب التجارب في الحياة.

المبحث الأول

الغربة وأسبابها وتجلياتها في شعر جبران

أولاً : الغربة

الغربة من الظواهر القديمة التي كان لها الحضـور البارز على مدى العصـور، وهي ليسـت وليدة الساعة،فهي من المشاعر الفطرية النسبية التي تختلف من إنسان لأخر، ذلك لأنها تتلون بطبيعة صـاحبها، وبطبيعة العصـر والبيئة وما يحتويه من قيم وأعراف، ولاسـيما قد كانت غربة واضـحة المصـطلح والمفهوم، بينما اتخذت لها صـورًا معقدة في العصـر الحديث، ذلك بسـبب التعريفات الكثيرة التي وضعت لها(دخموش، فتحية وبن سلامة، الربيعي ،2005،ص12) .

وهي ظاهرة إنســـانية موجودة عند أغلب الأفراد في المجتمعات البشـــرية في شـــتى الأزمنة، إذ اسهمت في الكشف عن التجربة الذهنية المعبرة عن رؤية الإنسان لما يحيط به منذ أقدم العصور وحتى وقتنا الحاضر، (وهكذا نرى الإنسان العربي يحس احساسا عميقا بغربته لاضطراره – جريا وراء رزقه ومعيشـــته – إلى مغادرة مواطنه التي نشـــأ فيها مما يدفعه إلى بكاء الاطلال والمرابع، كما نجد ذلك واضحا في جميع أشعاره وقصائده) (عبد ربَه،أمين صالح محمود،،1997،ص91)، لذا اتخذ الإنســـان من خلالها وســـائل متعددة للتعبير عن ذاته وعما يحيط به من مؤثرات وحوادث عرضية وغير عرضية وهذه الوسائل بدورها تمثلت في أشكال وصور مختلفة جسدت عدة جوانب مهمة من حياته، ما كان ذو طابع ايجابي، ومنها في أغلب الأحيان ذو طابع سلبي يوعز لعدم قدرته على حلها عدت بمثابة احد إشكاليات عصره، ففي الغربة حتى الأشياء الجميلة لا تستوعبها الروح البشري . وبما أنّ الأدب جزء من الإنسان وتعبير عن تأملاته تجاه نفسه وبيئته، ولاسيما بعد تحوّل الشعر إلى منعطفات أخرى، نجد أن الغربة شهدت تغيرات جذرية وقد أصبحت موضوعًا مركزيًا في الأدب بأجناسه المختلفة في آداب الشعوب والأمم كلها، إذ إنَّ العرب عانت منذ أقدم عصورها من عذاب الغربة والابتعاد عن الأوطان، سواء أكان هذا الابتعاد صادرًا عن رغبة في نفس صاحبه أو مسلطًا بوسائل قسرية.

ثانيًا: أسباب الغربة

بما أن معنى الغربة مغادرة الوطن والبعد عن أهلها، ســـواء كانت كرهًا أو طوعًا، تكون في الغالب لأسباب إقتصادية وسياسية أو ثقافية والتي هي كلها من تداعيات التطور الأجتماعي عبر العصور، ولقد كانت بحق محنة الإنسان القديم والحديث،وبما أن حديثنا عن العصر الحديث (فألهجرة اللبنانية بدأت من منتصـــف القرن التاســـع عشـــر بتأثير من التحولات الاقتصـــادية والاجتماعية والسياسية في جبل لبنان. وتوجهت هذه الهجرة بصورة خاصة نحو مصر والولايات المتحدة وأميركا اللاتينية، ثم بلغت استراليا وافريقيا وجنوب الصحراء الأفريقية) (لبكي ،بطرس، 2019م ،ص18) . ومن أهم الأســـباب الأقتصـــادية لهجرة أبناء جبل لبنان خلال عهد المتصرفية، هو تحوّل الاقتصاد في جبل لبنان من الاكتفاء الذاتي الى اقتصاد السوق، والأسباب السياسة التي غيّرت من معالم المنطقة بعد الأحتلال العثماني وثورة الفلاحين والأحداث الطائفية التي تلتها، مما أدى الى هروب أعداد كبيرة منها الى خارج لبنان، مع تدني المستوى الاجتماعي والمالي للسكان فيه؛ وطبيعة شخصية المهاجر الجبلي، ومعاناته ومن ثم اندماجه في المجتمع المستضيف.(زهرالدين غازي شكيب،2014م ،ص34) .

ثالثاً: الغربة في شعر جبران خليل جبران: يتجلى في شعر جبران خليل جبران أثراً لمفهوم الغربة وتداعياتها على كيان الشاعر برمته ففي قوله:

أحبتنا لا تسألوا عن ديارنا
فليس لنا كهف وليس لنا وكرُ
ولا تبحثوا عما أصابنا
فليس لنا بالكتب اسم ولا ذكرُ
إذا شئتم أن تعرفوا كنه أمرنا
فموتوا كما متنا ليتضح الأمرُ
(ديوان خليل،جبران خليل،2017 م،ص268) .

يعتبر جبران نفسه غريبا عن الولايات المتحدة الأمريكية، فهي ليست دياره، ولا بيت له فيها، حتى لو سكن وملك، لكنه سيبقى غريباً –كما يشعر– فلا اسم له ولا ذكر لأنه وفد إلى هذه البلاد بسبب خارج إرادته لأسباب و دوافع ،اذن غادر البلاد كرها وليس اختيارا، بل أنه لا يعد نفسه من الأحياء فيطلب ممن يريد أن يشعر بما به الموت ،وهنا يعني بالموت الهجرة، فمن لايعرف إحساس الغربة عليه أن يهاجر ليفهم ذلك الإحساس لأنّ كلامه هنا موجّهٌ الى مَن في داخل الوطن من الأحبّة . ونلاحظ أن جبران يهون من شأن حياتهم، فهم لا يطلبون بيتاً، بل كهفاً – كما الانسان القديم– أو وكر–كما الحيوانات– وكأن الهجرة تحول الانسان إلى شخص مختلف أقل شأنا أوقيمةً حتى من الانسان القديم أو حتى من الحيوان، ولذلك هو أقرب إلى الموت بالحياة. كتب جبران إلى أمين الريحاني رسالة في عام 1917 قال له فيها: (لو خيرت الان بين الموت في لبنان والحياة بين هؤلاء المخاليق لاخترت الموت) (زكا، طنسي، 2015 م،ص 216) فهو يفضل الموت في بلده على الحياة في أمريكا التي يعتبر أن سكانها ليسوا بشرا طبيعيين، فيصفهم بـ (المخاليق) وهو جمع بصيغة غير مألوفة لكلمة مخلوق، فالجمع السائد مخلوقات، في حين نجد أن جبران يستعمل كلمة مخاليق وكأنه أراد تغريب الكلمة كما يشعر بغربة طبائعهم .

ويقول جبران أيضا عن الغربة:

وهو الغريب عن الدنيا وساكنها
وهو المهاجرُ لام الناس أو عذروا
و هو الشديد و إن أبدى ملاينة
وهو البعيدُ تداعى الناس أوهجروا
(جبران،خليل جبران ،2017 م،ص 313).

في هذه الأبيات يتحدث جبران عن نفسه بصيغة الغائب، وهو نوع من الانفصال عن الذات لترسيخ حالة الحزن والغربة، فيصف الشاعر نفسه بالغريب عن الدنيا ومن سكن فيها، فغربته عن بلده جعلته غريبا في كل البلاد ولا ينتمي إلى هذه الدنيا أصلا، وسيبقى مهاجرا مهما لامه الناس وعاتبوه، وعذروه في سفره، فذلك الأمر لا يفرق لديه، فهو مهاجر بكل الأحوال، وهذه الهجرات قد جعلت طبعه شديدا مهما حاول أن يكون ليناً ورقيقاً، وسوف يبقى بعيدا بذاته ونفسيته مهما اقترب منه الناس أو هجروه، فغربة الشاعر المكانية غيرت طبائعه. هذه البلاد يسميها جبران بالبلاد المحجوبة،أو بالوطن السحري الذي لطالما فكر فيه،وقد وجد فيها راحة نفسها المعذبة وطمأنينتها، وغنت روحه بالأمان والسلام فيها،فغادرة البلاد المحسوسة التي حولها الى البلاد المحجوبة وينشد عن هذه البلاد قائلاً :

هو ذا الفجر فقومي ننصرف
عن بلاد مالنا فيها صديق
ماعسى يرجو نبات يختلف
زهره عن كل ورد وشقيق
وجديد القلب أنى يأتلف
مع قلوب كل مافيهاعتيق

(جبران،خليل جبران ، 2017 م ،ص 526).

لم يجد جبران خليل جبران في بلاده صديقا وفيا أو رفيقا مؤنسا له،لأنه مختلف المعدن عن الناس الذين يعيش بينهم،فهو كان يطمح إلى كل شيء جديد بينما هم متمسكون بالقديم،فهو يعيش غريبا بينهم، يشعر بأنه مثل زهرة أبت أن تنبت في أرض غير أرضها، فالنباتات تختلف عنها، وجذورها لا تمتد إلا في ترتبها. وكذلك القلب لا يمكن له أن يأتلف إلا مع قلوب مقربة يعرفها ويجدد الود لها، فالقلوب ذات المضامين العتيقة لا يمكن له أن يألفها ويقترب منها، استمد جبران كثير من تأملاته وخيالاته من تربيته و دراسته الأولى في بشري حيث دراسة الأنجيل و الكتاب المقدس بشكل عام وشربه لآياته وغربلتها في فكرهه ، هنا أيضا نرى بأن جبران قد أتى بفكرة القديم و الجديد معتمدا على الآية (ما من أحد يضع خمرا جديدا في قرب عتيقة، لكي لا تفجر الخمر الجديدة القرب،فتتلَف الخمر والقرب معا ،ولكن للخمر الجديدة أوعية جديدة) (كتاب الحيات،الأنجيل،1982م، ص 107). فهموم الشاعر وخيالاته،أفكاره ورؤياه تجاه كثير من مسائل الحياة لم تكن متناغما مع ما كان ساعة الغربة عليها تدق وهذا ماجعله في حالة من التوتر وعدم الإستقرار النفسي طوال الليل و منتظراً مجيء النهار ليخاطب كيانه الوجودي بدوافع

نفسيه مأزومة بقوله (هو ذا الصبح ينادي فقومي ننصرف) ليشفي غليل أزمته ويسترجع بنفسه الى حالة السكينة والهدوء من خلال التفكير بالمغادرة ومخاطبة النفس، ولكن دون جدوى.

وفي القصيدة ذاتها، يتحدث جبران عن وطنه المحجوب عنه وعن ابنائه منذ القدم فيقول:

يا بِلاداً حُجِبَت مُنذُ الأَزَل
كَيفَ نَرجوكِ وَمِن أَيّ سَبيل؟
أَيّ قَفرٍ دونَها أَيّ جَبَل
سُورها العالي وَمَن مِنّا الدَّليل
أَسرابٌ أَنتَ أَم أَنتَ الأَمَل
في نُفوسٍ تَتَمنّى المُستَحيل
(جبران،خليل جبران ،2017 م،ص 526)

ينادي الشاعر بلاده الرمزية المحجوبة عنه منذ الأزل، فهو يصف وطنه بالأرض المحجوبة التي لا يمكن الوصول إليها، ويتساءل كيف يصلون إليها وما الطريق التي توصلهم لها مستخدما من أسماء الأستفهام(أي) وهو اسم يؤتي به لطلب إزالة الأبهام عن سؤال ما، فدونها صحارٍ وجبال وسور عالٍ، كل تلك الصعوبات مجازية، فإحساس الشاعر بالبعد في الغربة يجعل الوصول والاطمئنان لوطنه مستحيلا، ولذلك هو يرى وطنه كالسراب، وبذلك ينتقل من مرحلة الوطن الحقيقي إلى الوطن المثالي غير المرئي فالشعر عند جبران عبور روحي من الشاهد الى الغائب، ومن الواقع العياني الى الواقع المنشود ومن العالم الأرضي الرتيب الى العالم العلوي الفسيح وسعة الملكوت ،ومن قيد الجسد الى رحاب الروح وشوق جامح الى معانقة الوطن الأصلي والفردوس المفقود ،وبحث مستمر لأجل الوصول الى الخلاص، الذي به يتسامى ويتطهر الشاعر عن الكون المادي. وربما هذه كلها نتيجة تأثره بالمباديء الدينية الاشعورية وخاصة الآية 21 في انجيل لوقا الفصل 17 حيث قيل: (إن ملكوت الله ليس هنا أو هناك ،بل في قلوبكم) (الكتاب المقدس 1996م،ص 117). وكما أحس جبران خليل جبران بوطأة الغربة على الشباب فكان ثمرة هذا الشعور قصيدته الرائعة (المواكب–1919) القصيدة الرومانسية التي تفاعل فيها جبران مع وجدان الطبيعة وتفاصيلها معللاً ذلك أن الطبيعة سبب السعادة الحقيقية المطلقة، فرَغ فيها مجمل أفكاره الفلسفية حيث تطرق فيها الشاعر الى الموضوعات التي يتطرق اليها الفلاسفة عادة كالخير والشر ،والعدل والحق،والدين،والجمال والقبح ،والحب والسعادة والحرية ... ورؤياه وتفاؤله لتحسين حياة الإنسان، تلك التي فرَق بها بين حياة الريف و هي حياته في وطنه لبنان وتفاعله فيها مع الوجدان، وحياة المدينة وهي حياته في الغربة في الولايات المتحدة الأمريكية فكان لكل حياة وزن خاص ومفردات خاصة،وقد سميت هذه القصيدة بالمواكب لأنها تصور مواكب الناس

في حياتهم الواقعية الشقيةفالبشر عادة يمشون وراء الأنسان القوي ،ومواكب نفوسهم التي تلهث خلف هدفها،فتسمية المواكب أتت نسبة الى الجموع البشريَة الذين ضلّوا في اختيار الطريق الصحيح الذي يسعدهم،وظنّوا أن مصدر سعادتهم في عالم الماديات المزيَفة و المدينة المتصنعة، ففي هذه القصيدة الرائعةثلاثة أصوات صوت الواقع وصوت الغاب وصوت الناي وهو لتأكيد صوت الغاب،وبإمكانناأيضاً أن نتلمس في هذه القصيدة بعض ملامح الصوفية في أروع أشكالها وتعابيرها. استعمل الشاعر للحديث عن المدينة بحر البسيط بتفعيلاته المختلفة وطوله المعبرة عن صوت شاب حكيم ، واستعمل للحديث عن الريف بحر مجزوء الرمل بتفعيلته الوحيدة وقصره المعبرة عن صوت شاب حالم،وما القصيدة الاّ حوار بينهما وصدى لنزاع داخلي في نفس جبران،ما بين إيمانه بفطرة الأنسان الإلهية وما يبصره في حيات الناس من بشاعة ووجع وتشويش ،فالمتكلم هنا الشاعر نفسه ولكن في حالتين تتكاملان ولا تتناقضان ،فالشاعر الذي يلاحظ بؤس الواقع،ويدين ما يحفل به من تناقضات ومثالب وشرور،هو نفسه الذي يبشلر بعالم أكثر نبلاً وعدالة وجمالاً، فالقصيدة تؤكد على صعوبة حياة المدينة، وسهولة حياة الريف البعيدة عن الماديات والقوانين المدنية وتكون المكان المثالي للعيش، و هي قصيدة طويلة لم يبق منها في قلوب الكثيرين إلا أبيات تتحدث عن الريف وذلك لعذوبتها ومنها:

الخيرُ في الناسِ مصنوعٌ إذا جُبروا
والشرُّ في الناسِ لا يفنى وإن قُبروا
وأكثرُ الناس آلاتٌ تحركها
أصابعُ الدّهر يوماً ثم تنكسرُ
فلا تقولنَّ هذا عَالِم علمٌ
ولا تقولنَّ ذاكَ السيّد الوَقُرُ
فأفضلُ الناس قطعانٌ يسيرُ بها
صوت الرعاةِ ومن لم يمشِ يندثرُ

ليس في الغابات راعٍ.. لا ولا فيها القطيعْ
فالشتا يمشي ولكن.. لا يُجاريهِ الربيعْ
خُلقَ الناس عبيداً.. للذي يأْبى الخضوعْ
فإذا ما هبَّ يوماً.. سائراً سار الجميعْ
أعطني الناىَ وغنِّ.. فالغنا يرعى العقولْ
وأنينُ الناي أبقى.. من مجيدٍ وذليلْ

(الأعمال الكاملة ،2017م،ص317)

من خلال هذه المقاطع نجد أن جبران يفرق مابين أجواء المدينة، والتي تشكل المعادل الموضوعي لأمريكا التي يعيش فيها الشاعر، وما بين أجواء القرية والتي تمثل موطن الشاعر لبنان وقريته بشري، ويظهر الجانب السلبي في حياة المدينة التي يكتنفها الشرفالمفارقة تعتبر أساس في فلسفة الشعر واظهار جماليته، ويحث الشاعر الإنسان في وطنه على الثورة وعدم الخنوع كإنسان القرية أو الغابة يجب أن يكون شرساً ليعيش عيشا حراً كريما كعيش الغاب حيث لا راع و لا قطيع، والإنسان لا يصبح عبداً إلا إذا اختار ذلك، فلا يمكن إجباره على العبودية،وربماإستخدام الشاعر هنا لكلمة الراع أشارة و استخفاف لرجالات السياسة في الغرب و لرعات البقر الأمريكان الذين يضطهدون الشعوب المنكوبة ويسرقون ثرواتهم، وذلك لأن كلمة الراع في الأصل ملتصق بالريف أو القرية التي يشيد بها الشاعر.ولأن العدل الذي يقيمه الأنسان هو عدل ظالم،فأذا اقترف الضيف خطأً بين قومه يعاقب، أما المجرم الكبير فيصفق له على أنه بطل،لذا غاب العدل عن الأرض و ساد منطق القوة،وكل هذه أتت نتيجة قناعة الشاعر وفهمه في كيفية سير الحياة في هذا الوجود وعالمه الخاص وهو عالم ضاغط متحرك مشحون بالطاقة والقوة وعدم الأستسلام وعالم حقيقة لا يقل واقعيته عن العالم الواقي،فغربة الشاعر الوجودي وعيشه في أمريكا وتأثره بالمكان –المكان هو القلب النابض لكل أحاسيسنا و مداركناالمعرفية– وقناعته الراسخة بأن البشر في النصف الشمالي من الكرة الأرضيةمتسلطون ويعيشون على حساب النصف الجنوبي منها وإحساسه بالظلم واللامساوات كانت بمثابة الزنبلك النابض لتجربته الشعرية تلك وقول الشعر وذلك حد الأدنى من أجل إسترجاع كيانه الوجودي الى حالة متوازنة فطموحات الشاعر في الحياة لم تتوقف حد قول الشعر بل تجاوز الى أرض الواقع ليشارك في تأسيس جمعيات خيرية لمساعدة شعبه أثناء الحرب العالمية والمجاعة الكبرى في جبل لبنان والتي سببت في خلقها الأتراك العثمانيون. فحين يقع المرء في محنة الغربة وعذابات الفقد، فإنه لا يجد متنفسًا يزيح عن كاهله ثقل هذا الكابوس سوى الحنين، واستعادة ملامح الذكريات المخزونة في مستودع الذاكرة، وذلك من خلال الكتابة على ما يتيسر له من أشياء، وتظل غربة جبران تتحرك بين مكانين متباعدين، بينهما حوار لا ينقطع، فهو يرفض أن يكون وطنه مسلوبًا حريته، فيناغيه أي يضعه في موقع الأعجاب و يلاطفه حيناً، ويشدُّ من أزره حينًا آخر. إن إحساس الشاعر باليأس جعله يرى السعادة شيئا مستحيلا في الغربة، ولهذا يقول في القصيدة ذاتها:

وما السعادة في الدنيا سوى شبحٍ
يُرجى فإن صارَ جسماً ملهُ البشرُ

كالنهر يركض نحو السهل مكتدحاً
حتى إذا جاءَهُ يبطي ويعتكرُ
لم يسعد الناسُ إلا في تشوُّقهمْ
إلى المنيع فإن صاروا بهِ فتروا
فإن لقيتَ سعيداً وهو منصرفٌ
عن المنيع فقل في خُلقهِ العبرُ

ليس في الغاب رجاءٌ.. لا ولا فيه الملْ
كيف يرجو الغاب جزءا.. وعَلىَ الكل حصلْ
وبما السعيُ بغابٍ.. أَملاً وهو الأملْ
إنما العيش رجاءً.. إحدى هاتيك العللْ
أعطني النايَ وغنِّ.. فالغنا نارٌ ونورْ
وأنين الناي شوقٌ.. لا يدانيهِ الفتورْ
(جبران ،خليل جبران،2017م،ص319)

إنّ السعادة وفق رؤية الشاعر شيء من الخيال الإنساني، الذي يظن أنه سوف يصل إليه عبر تحقيق بعض الأهداف، لكن ما إن يصل إلى هدف حتى يبدأ البحث عن هدف وغاية أخرى يظن أن فيها سعادته فهي أشبه بالسراب الذي يحسبه الضمان ماء فيسرع اليه دون جدوى، وشبّه هذه الحالة بالنهر المتدفق الذي لا يتوقف، ويرى الشاعر السعادة بأنها الإحساس بالتشويق للمحاولة لتحقيق الغاية وليس في ذات الوصول إليها،وربما يتحدث الشاعر هنا عن تجربته وحالته النفسية في الغربة بتأثير ودوافع لاشعورية، فمهما حاول المرء ان يسعد نفسه في الغربة لم يفلح، فجران المحبط الهارب والمستاء الغاضب من العيش في وطنه الأم لبنان مستاء من الغربة أيضاً، لذلك يبحث عن وطن مثالي ،ويقارن بين هذا الشعور وبين حالة الشعور في الغاب، الذي يخلو من الضجر والملل والطلب،ف(الغاب)هو موضوع الرجاء والأمل، فعندما يبلغه الأنسان لن يعود بحاجة الى أن يرجو شيئاً اخر، فهو عالم مثالي وفيها كل شيء، فالعيش فيها سعيد بطبيعتها كما هو ،ويصل الشعور فيها للسعادة بعيدا عن الغايات مؤكدا على أن الغناء هو سر السعادة الحقيقية. ففي هذه المقطوعة يعود الشاعر بمخيلته الى موطنه الأصلي بدافع فقده وحرمانه من الكثير الكثير مما كان يتنعَم و يتلذّذ فيها في موطنه الأصلي لبنان، وبدافع غربته متخيلا نفسه بين جبالها ووديانها وأزهارها و جداولها مناشدا الناس الأستمتاع بالطبيعة وترك المدن الزائفة حيث يكمن سر الوجود . لا يكتفي الشاعر بتذكّر الطفولة تذكّرًا عابرًا بل محاولته تقمص تفاصيلها، وحرصه على أن لا يفلت من مكونات صورتها جزءًا جزءًا، وكذلك الاحتفاظ بها

وإعطائها صفة الثبات، وهذه الدلالات مترابطة ببعضها من جهة السبب والمسبب، وهي ملامح للغربة واضحة القسمات، جعلت الشاعر مؤمنًا بحتميتها، فشعرية المعنى لا تقف على مفهوم اخلاقي أو عرفي أو عقلي، بل هي تتسع لتستوعب الحركة الذهنية التي يطلقها الشاعر بكل تناقضاتها، وبكل توافقاتها. (عبدالمطلب ، محمد ،1995م،ص69). فالمعنى الشعري يشمل كل تفاصيل الحيات لذلك سعى الشاعر بالتعبير الحر عن الطاقات المكبوته وتحريف الأشياء عن سياقها الطبيعي، ثم إعادة صياغتها من جديد لتكوين آفاق تسمو بالذات وحقائقها الداخلية، وغدا وثيقة مهمة لتدوين تلك الأحداث، وتصوير النكبات السياسية والاجتماعية، لذلك فأنّ تلك الرؤى قد أخذت نفس الشاعر وخياله وروحه إلى الإحساس بالتغرّب والابتعاد عن الوطن، وحاول الشاعر أن يجسد تلك المشاعر المضطربة والمتقلبة، والمليئة بهواجس الفقد، والخوف، والحرمان، واليأس، والترقب، وكان شعر الغربة جزءًا من تلك المشاعر التي ولدت في رحم الأحوال المتباينة، فكل هذه لكي يسترجع الشاعر بكيانه القلق المضطرب الى حالة التوازن النفسي حسب الدراسات النفسية و مباديء علم النفس. (تشترك قصائد الغربة بخصوصية واحدة، هي إنها تعبير صادق عن الهموم الذاتية للإنسان والشاعر إنسان مرهف، يشعر بما يحيط به من مؤثرات، تتغلغل إلى أعماق ذاته، فيتأثر بها ويعبر عنها تعبيرًا صادقًا بألفاظ رقيقة، وجمل موزونة، يرسم بها صورة شعرية مشحونة بخلجاته الوجدانية وانفعالاته النفسية) (الجبوري ،يحيى،د ت، ص56) . لاريب أن حالة الاقتلاع التي يعيشها المهاجر تدفعه إلى التشبث بكل ما يشده إلى أفقه الإنساني الحميم الكامن هناك بمكان أسمه الوطن، الذي يرى نفسه مغيبًا عنه، فيظل يرنو إليه حتى آخر لحظة في حياته، فالغربة لا تقف عند هذه الخسارات فقط، إنما تمتد لما هو أبعد منها. يرى أحد نقاد الفن الشعري والذي يدعى هاوسمان (إنَّ مهمة الشعر هي تنسيق أحزانِ العالم). (لويس ،سي دي، 2020 م،ص20).فأحزان النفس اللامنتهية في الغربة تولد مع ولادة كل يوم وإشراقة شمس وهذا مايدفع بالشاعر كتابة قصيدة جديدة . إن ضياع الوطن وما تبع ذلك من غربة وترحال، وشتات في أصقاع الأرض، قد أورث الشاعر الحزن والأسى، وقضى على الحب والدفء الحميمي،ولجبران عدد من القصائد عن وطنه، يظهر فيها حبه لوطنه الذي تغرب عنه ومنها قصيدته:

يا أيّهذا الوطن المفدى
تلق بشراً وتملّ السعدا
لم يرجع العيد مريبا إنّما
أراب قوم منك ضلوا القصدا
يا عيد ذكّر من تَناسى أنّنا

لم نك من آبقة العبدى

(خليل جبران ،خليل،2021،ص107)

نجده في هذه الأبيات يشير إلى غربته، فالعيد يكون مريبا للأشخاص البعيدين عن الوطن، ومن يبتعد عن وطنه يضل بحسب رؤية الشاعر، ويطلب من العيد –وهو طلب مجازي– أن يذكر من يتعمد النسيان بأن أبناء الوطن ليسوا عبيدا آبقين، بل هم أحرار مهما ابتعدوا عنه،فالشاعر يدعو إشراك الآخرين من أبناء الوطن في أحاسيسه لكي لا يقعوا في الضن حول أحواله في الغربة، فالإبداع الشعري حسب علماء النفس حالة إنفعالية صادقة تعبر عن المعانات النفسية للمبدع في أحاسيسه فللشعر القدرة في إعادة صياغة الأحاسيس، وأحسن الشعر ما لم يحجبه عن القلب شيء، ومن الملاحظ أن جبران كثيرا ما يركز على قضية العبيد والحرية،كما رأينا في قصيدة الغاب، لا سيما وأن هذه المسألة كانت إشكالية كبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن العشرين، ولذلك كثيرا ما يربط جبران بين حرية الأفراد وبين غربتهم، فالأمريكان الأفارقة مستعبدون لأنهم غرباء عن أفريقيا، وهذا ما كان يخشاه جبران على العرب، فلا بد أن يكونوا أقوياء وأحرار، وأن يتواصلوا دوما مع بلدانهم من أجل الإحساس بقوة الوطن وحبه.

يقول جبران خليل جبران :

في هجرة لا أنس فيها

للغريب ولا صفاء

تتقاذف الآفاق بي

قذف العواطف للهباء

وتحيط بي لجج الصروف

فمن بلاء في بلاء

(جبران، ديوان الشاعر،دت ،ص 75)

فالشاعر هنا يعترف إعترافا صريحا بما يجول في قرارة نفسه من الإحساس بألوحشة والضياع والخسارة التي تكبده، فروحه تعاني وتبكي لغربته وفقد كل ما قد صاحبه من الأهل والأصحاب وأصدقاء الطفولة التي لا ينساه البشر،فالهجرة لا تتيح لك أن تعرف أحداً كما يجب، لذلك استخدم لا النافية (لا أنسَ) فأيام الغربة شتت حاله ومزقته بمشاكلها اللامتناهية ،فلا الأهل أهله ولا الخلان خلانه ولا الوطن وطنه،فالأنسان عندما يضطر مغادرة بلده سواء كرها أو طوعا يحن ويشتاق لتراب الوطن،فكم من الناس بكوا شوقا للرحيل ولكن سرعان ما بدءوا بالبكاء شوقا للعودة الى الوطن، فشعر جبران وأصحابه المهجريون أشبه بما رأيناه عند شعراء الأندلس حين ترحلوا عن البلاد العربية لفتح الأندلس، وأخذوا يرون في غربتهم تلك الغربة المكانية، فظهر ذلك في

أشـــعارهم ، كما أن شـــعراء الأندلس أنفســـهم لما رحلوا عن الأندلس أخذوا يناجون تلك الورود والرياحين التي تذكرهم بتلك البقاع الأندلسية الجميلة (احسان،عباس، 1987م، ص198)

يبدو أن تقلبات الحياة ومآسي الغربة التي تكبده الشاعر في مراحل حياته منحه القدرة لتحويل تلك المواقف الضـــاغطةالى فرص للنمو والقدرة على المواجهة وإدارة الإنفعالات والمشـــاعر الســـلبية وتنظيم السلوكيات الغير متوافقة من خلال القدرة على التعبير– فالشعر حضور نفسي في ذات الشاعر وهو جزء لا يتجزء منه فضلا كونه محركاً لأحاسيس الآخرين– وبث ماأوجد لأجله وبعث رسالته المتمثلة برفع قيمة الأنسان من الذات السفلى(الأتما) الى الذات العليا(البراهما).

المبحث الثاني

الإغتراب وتجلياته في شعر جبران خليل جبران

أولاً : الإغتراب

يعرف "كينستون الاغتراب بأنه الرفض الواضح للقيم السائدة في المجتمع والانسحاب منه والتمرد عليه بدون قضية، وترى هورني في الاغتراب تعبيراً عما يعانيه الفرد من انفصال عن ذاته، حيث ينفصـــل الفرد عن مشـــاعره الخاصـــة ورغباته ومعتقداته، وهو فقدان الإحســـاس بالوجود الفعال، وبالقدرة على التصميم في حياته الخاصة ومن ثم يفقد الفرد الإحساس بذاته باعتباره كلاً عضويا ويتحدث عن نفسـه كما لو كانت موجودا آخر منفصـلاً وغريبا عنه.ويعرف إيريك فروم الاغتراب بأنه شـكل من إشـكال الخبرة التي يمارسـها الإنسـان ويشـعر فيها بأنه غريب عن ذاته، ولا يجد نفســـه كمركز لعالمه وكخالق لأفعاله أو إنتاجه وإنما أفعاله هي التي تصـــبح لها الســـيادة عليه وعليه أن يطيعها. حمادة،حســـن،1995،ص12–13 . وثمة مجموعة من العوامل والأســـباب الأجتماعية التي تفضـــي بالمرء إلى أن يقع في براثن الاغتراب، يتمثل أهمها في عدم توافق هذا الفرد مع المجموعة الاجتماعية التي يعيش ضـــمنها، خاصـــة إذا لم يجد ما يشـــعر من خلاله بالتقدير لما ينتجه أو يسهم في إنتاجه ، كما أن الفرد إذا لم تتح له الفرصة للمشاركة مع الآخرين في تحقيق ذاته ، وإنجاز بعض الأمور المتعلقة بالمجتمع من حوله ، فإنه دون شـــك ســـيقع في الاغتراب ، كما أن الشخص قد يشعر بالاغتراب إن لم تكتمل فرديته من خلال رفض التوافق مع المؤسسات الثقافية والاجتماعية وتوقعات الآخرين ، كما يحدث الاغتراب للإنسان عندما لا تتاح له الظروف الملائمة لتطوير شخصيته من خلال المشاركة في نشاط إنتاجي موجه ذاتيا يجسد ذاته (موســـى،وفاء ، 2001،ص17). ونجد عند الكثير من المفكرين والكتَّاب إن الاغتراب من السمات المميزة في العصر الحديث، نظرًا لتداولها في الكتابات، وعلى الرغم من ذلك يرى بعض الباحثين إن مفهومها الخاص ما يزال يعاني من الغموض، وقد تضـــاربت الأقوال والاتجاهات في

تحديده، ومن هنا عدُّوا مصطلح الاغتراب، مصطلحًا يحتمل أكثر من معنى، وصعب التحديد، ذلك لتعدد مفاهيمه وغموض بعضها. (البلولة، محمد موسى،2010، ص4-5 الأغتراب) .

وقد نالت هذه الظاهرة اهتمامًا بالغًا في الدراسات الفلسفية والاجتماعية والنفسية المعاصرة، إذ تناولها الدارسون في جوانب متعددة من ضمن الإطار الأدبي، مستفيدة من علوم الاجتماع والفلسفة وغيرها، ذلك لكونها إحدى الظواهر التي ترتبط بالإنسان ارتباطًا اختياريًا أو إجباريًا(هياجنة،محمود سليم2005،ص16) ان أبرز أشكال الأغتراب لدى شعراء و كتاب الحداثة وبالأخص لدى شعراء المهجر هي الأغتراب الوجودي وهذا النوع من الأغتراب يتمحور تسائلاتها حول احدى أهم موضاعات التي لها علاقة صريحة بالأنسان والحيات مثل الفردية والأرادة الحرة ووجود الأنسان وعلاقته بالكون والخالق ومصيرها و(هي التي ينأى فيه الشاعر عن الواقع والوجود الى عالم تخيلي بعيد يمتاز بالكابوسية والتأزم النفسي ليصل الى درجة قصوى من الهذيان)(شرتح،عصام عبدالسلام ،2018،ص10). والأغتراب في سياق علم النفس متعلق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية (الأنسان غريب عن العمل عمله و نتائج عمله) ونرى كيف أن الفلاسفة وفي مقدمتهم كارل كاركس و هيدكر و سارتر قد وضعا جل اهتمامهما بظاهرة الأغتراب والحديث عن الوجود الحقيقي للأنسان وقراراته التي يتخذها بنفسه وارادته والوجود المستغرق في الحاضر الذي تحدده العرف الأجتماعي السائد والذي تلغي فيه شخصية الأنسان وتزيده الأحساس بالأغتراب وأن الأنسان يبذل جهدا كبيرا للقيام بعرض طيب على منصة الأعدام،لأنه محكوم عليه بالموت وهكذا اصبح هدف الحياة انتظار الموت وبه يتحرر الأنسان ويتخلص من عذابات الأغتراب ،ونجد (أن كلمة الاغتراب قد استخدمت في العصر الحديث على نطاق شديد الاتساع للإشارة إلى بعض الظواهر التي لها علاقة مباشرة بحالات نفسية وتبعاتها،وعلوم النفس مثل: فقدان الذات، حالات القلق، الانتحار، اليأس، استلاب الشخصية، اقتلاع الجذور، اللامبالاة، الوحدة، فقدان المعنى، العزلة، التشاؤم، فقدان القيم والمعتقدات) (د. حمادة، حسن 2005،ص8). وعلى الرغم من أن مفهوم الاغتراب من المفاهيم الفكرية الحديثة إلا أن جذوره تمتد إلى عصور ضاربة في القدم. ويتجلى ذلك في الفلسفات والكتابات اللاهوتية القديمة، إذ يعدّ آدم أول مغترب، حين هبط الى الأرض واغترب عن موطنه الأصلي (الجنة) ومنذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا والإنسان يعاني من هذه الظاهرة في شقها السلبي، ويستفيد منها في شقها الإيجابي (مساعدية، لزهر،2013،ص9)، فلم يكن طرد ادم وحواء بع وابعادهما من جنات عدن غربة مكانية بحد ذاتها، بل كانت اغترابا روحيا صادما نتيجة الخطيئة التي اقترفاها، فالبعد عن الخالق والأنقطاع عنه كما يراه الباحث أدت الى حدوث شق و الم و بؤس وشقاء وضياع في أعماق الأنسان الأول وأحفاده فطرتاً، وربما هي العلة الوحيدة التي يجعل الأنسان

المؤمن أن يعمل بجد ليتصالح مع الإله ويسترجع بروحه الى الحضرة الألهية وعودته بنفسه الى حالة التوازن الأولى.

ثانيّاّ: الإغتراب في شعر جبران خليل جبران :

في قصائد جبران كثيرا من نماذج الاغتراب، سواء في النصوص الموزونة أو غير الموزونة ومنها قصيدة (الأرض المحجوبة) :

قَد أَقَمنا العُمرَ في وادٍ تَسير

بَينَ ضلعَيهِ خَيالات الهُموم

وَشهِدنا اليأسَ أَسراباً تَطير

فَوقَ مَتنَيهِ كَعقبانٍ وَبُوم

وَشَربنا السّقمَ مِن ماء الغَدير

وَأَكَلنا السُمّ مِن فَجّ الكُرُوم

(خليل ،جبران خليل، 2017م، ص525)

في هذه الأبيات دعوة صريحة من الشاعر ورغبة للعودة لجذوره الأصلية، فقد عاش حياته بعيداً عن بلاده وعن اهله حتى أنه عاش بين الخيال والهم، وشعوره باليأس يشبهه بأسراب الطيور، فكأنه عاش بوادٍ نباته الخيال والهم وطيوره اليأس وهي ليست طيورا عادية بل هي العقبان والبوم، وهي نوعية طيور يتشاءم منها الناس في المشرق، وشرابهم كان التعب والعناء وطعامهم السم من اشجار العنب، ولو تأملنا جيدا لوجدنا أن الشاعر يجعل هذه المدينة التي تشبه جهنم معادلاً موضوعيا للبنان التي تمتاز أراضيها بالوديان والجبال واليانبيع والطيور والأعناب، فهو يحور كل تلك المشاهدات الواقعية ليستبدلها بأرض مخيفة وموحشة، وهذا يتأتى من حالة الاغتراب النفسي والتي هي من أبرز أشكال الأغتراب الوجودي التي يعيشها الشاعر فكل هذه الأفكار المخيفة والصور المثيرة أو الهم والخوف والطابع السوداوي القاتم دالة على إنعكاسات شعورية ونفسية ووقع الشاعر في إغتراب نفسي لا متناهي التي إنعكست على الجسد اللغوي في النص الشعري،لأن الشعر في الحصيلة مرآت لكتلة مشاعر وأحاسيس وهي صفة إنسانية.

يقول جبران في مقارنته المصحوبة بالحسرة والألم بين تقدم وابداعات شعوب بلدان الغرب و شعوبنا في الشرق

قائلاً:

هم يفتحون السماء

ويملكون الهواء

ويقطعون الصحارى

ويعبرون الماء

ونحن نمكث في عقر دارنا غرباء.(ديوان جبران ،ص32)

يتحدث الشـــاعر عن أمجاد وتقدم العلمي والتكنلوجي للشـــعوب الغربية وترســـيخها لخدمة مجتمعاتهم،جواً في الســماء في وصــولهم الى القمر واكتشــافاتهم للنجوم والأجســام الســماوية، وغوصهم في أعماق البحار بحثا عمّا هو جديد وكشفهم الصحارى النائية البعيدة عنهم واستغلالها لخدمة أوطانهم جيلا بعد جيل حيث لاشيء يخفي عنهم، ثم يصـــحو من غفلته فجأتاً ويقارن هذه بما يدور في الأوطان العربية ومعانات شــعوبها من تحت براثن الأســتعمار التركي وتبعاتها من التخلف العلمي والأجتماعي والأقتصـــادي والتكنلوجي، في حين كانت مجتمعاتنا مهد الحضـــارة والتقدم الأولى في التأريخ ، فيفرز هذه كلها معانات مصـــحوبة بالحســرة والأحســاس بالإغتراب المحبط والألم ونحن في عقر دارنا مغتربين ثقافياً،وهو يتكلم بلســـان قومه نتيجة هذا الكم الهائل من الفروقات عندما يقيس و يقارن حجم التباعد في الأزمنة العلمية والتكنلوجية والثقافية بين الشــرق العربي والدول الغربية،مســتخدما ضــمائر الرفع المنفصــلة (هم) و (نحن) للمقارنة بين البلدان والشعوب الغربية والشرقية وهو يحسب نفسه جزءاً من المجتمع العربي والشرقي في قوله (نحن) بالرغم من عيشه منذ طفولته في الولايات المتحدة وحتى مماته،فالبعد عن الوطن لا يعني الأنشقاق،وهذه دلالة صريحة لألتآم وتعلّق نفس وكيان الشاعر وقلبه بأرضه ووطنه وروح التكاتف بشعبه بالرغم من غربته، وهو الذي يقول:

إنما البعد عن القلب نوى ليس من ينأى عن العين بناء (جبران،2021 ،ص134).

الخاتمة :

1- تجلّي زفير الغربة والأغتراب بشــكل واضــح كظاهرة منتشــرة في قصــائد جبران خليل جبران.

2- كيان جبران القلق نتيجة فقده لوطنه وإخوته وأمه في وقت مبكر إنعكســـت على حالته النفســية بشــقيه الســلبي الرافض لكثير من مضــاهر الحياة والأيجابي المتمثلة بأبداعاته الشعرية كانت كلها نتيجة لإغترابه الوجودي النفسي الذي جعله مغترباّ عن العالم والكون .

3- لم يكن إســتخدام جبران للتراث الديني المســيحي في قصــائده الإغترابيةمقصــوداّ لأجل الصــنعة والتزويق اللفضــي، بل أتت نتيجة تأثّرِه بالديانة بالمســيحية واللاشــعورية الدينية

وذلك لملأ الفراغ ومحاولة لتخفيف الآلام النفسية والكم الهائل من المعانات التي ذاقه في حياته، فالإقتراب من الدين له فوائد نفسية.

4- الآثار النفسية لها حضور واضح في إبداعات الشاعر وتجاربه الشعرية،فمواضيع شعره كانت على صلة بغاياته النفسية.

قائمة المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم

الأنجيل-

1.أبو الحسين ، أحمد بن فارس بن زكريا، 2017، ،باب الغين و الراء، معجم مقايس اللغة،دط ،دار الفكر.

2.الأنصاري ،إبن منظور،لسان العرب، مادة غرب

3. احسان ،عباس،1987 ،تأريخ الأدب الأندلسي ، ط5 ، دار الثقافة،بيرت – لبنان.

4. البلولة،محمد موسى،2010،الأغتراب والحنين في الشعر المهجري،بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه،جامعة خرطوم.

5.الجاحظ،أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني، 1983، رسالة الحنين الى الاوطان، ج2،دار النهضة العربة، بيروت-لبنان .

6.جبران،خليل جبران ،2017ط1 ،الأعمال الكاملة العربية،دار التنوع الثقافي ،دمشق-سوريا.

7- جبران، خليل، ديوان ،1349 هـ ،دط .

8. الجبوري ،يحيى،دت، الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي ،دار مجدلاوي،عمان-الأردن.

9. د.حمادة،حسن،1995،الأنسان وحيدا،دراسة في مفهوم الأغتراب في الفكر الوجودي المعاصر، ط1،مكتبة الشباب، القاهرة.

10. د. حمادة، حسن 2005،الأنسان المغترب عند الرك فروم،دط، مكتبة دار الحكمة،القاهرة- مصر.

11.خليفة،عبداللطيف محمد،2003،دراسة في سيكولوجية الاغتراب،،ط1، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة- مصر.

12. دخموش، فتحية وبن سلامة، الربعي ،2005 ،تجربة الغربة و الحنين في شعر ابن خفاجة الأندلسي، بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير في الأدب العربي القديم ،كلية اللغات و الاداب،قسم اللغة العربية ، جامعة منتوري -قستنطينة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية.

13.زكا،طنسي،دت،قراءة سياسية لأعلام أدب المهجر،دار الفارابي،بدون ط.

14.زهرالدين،غازي شـــكيب،2014 ،كفرفاقود بين 2010،1920،دراســـة في تحولات التأريخية والاقتصادية والأجتماعية ،ط1،دار الشوف للكتاب،لبنان .

15.شـرتح ،عصـام عبدالسـلام،2018 ، شـاعرية الأغتراب عند شـعراء الحداثة و المعاصـرين ،ط1، دار المعتز.

16.عبد ربَه،أمين صـالح محمود،،1997 ،الغربة والحنين للوطن في الشـعر الفلسـطيني،رسـالة دكتوراه ، جامة الأزهر،كلية اللغة العربية.

17.عبدالمطلب ،محمد،1995 ، الهيئة المصـــرية العامة للكتاب .قرءات اســـلوبية في الشـــعر الحديث،دت.

18.الكبيســـــي،عبدالواحد حميد،والحياني،صـــــبري بردان ،2012،ص237الأرشـــــاد والتوجيه التربوي،ط1، مركز ديبونو لتعليم التفكير،عمان–الأردن .

19. لبكي،بطرس،2019،هجرة لبنانيين1850–2018،مســـــارات عولمة مبكرة،دار الســـــائر المشرق،دط،لبنان–بيروت.

20.لويس ،سي دي، 2020 ،الصورة الشعرية ،ترجمة (أحمد نصيف جنابي ،مالك هيري،سلمان حسن إبراهيم) ،بدون ط.

21. مسـاعدية،لزهر،2013،نظرية الأغتراب من المنظولرين العربي و الغربي،دط،دار الخلدونية للنشر،الجزائر.

22. موسـى،وفاء ، 2001 ،الأغتراب لدى طلبة جامعة دمشـق وعلاقته بتحقيق حاجاتهم،رسـالة ماجستير،كلية التربية.

23. هياجنـة، محمود ســـليم2005 ،الأغتراب في القصـــيدة الجاهلية،دار الكتاب الثقافي للتوزيع،الأردن–اربد.

– كتاب الحياة ، الأنجيل،1982،ط6.

Bibliography

–The holy quran

–The bible

1. Abu Al-Hussain, Ahmed Bn Faris Bn Zakaria, 2017, Subject of Al-Ghain and Al-Ra, Dictionary of Language Standards.
2. Al ansary, Arab's Tongue, Matter of Alien .
3. Ihsan, Abas, 1987, The History of Andalusian Literature, Ed. 5, Al-Thaqafa House, Beirut – Lebanon.
4. Al-Balula, Mohammed Musa, 2010, The Alienation and Nostalgia in Diaspora Poetry, Research Submitted to obtain PHD, university of Khartum.
5. Al-Jahidh, Abu Othman Amru Bn Bahr Al-Kanani, 1983, A Nostalgic Message to the Homeland, Part 2, Arab Nahda House, Beirut, Lebanon.

6.Gibran Khalil Gibran, 2017, Ed. 1, Arabic Complete Works, Al-Tanawa'I Al-Thaqafi, Damascus, Syria.
7. Gibran Khalil Gibran, Anthology , 1349h.
8. Aljbury ,Yahiya,Alienation and Nostalgia in Andalusian Poetry BT, Majdalawi House, Amman – Jordan.
9. Dr. Hamada, Hassan, Lonely Human, A Study of the Concept of Alienation in Contemporary Existential Thought, Ed. 1, Al-Shabab Library, Cairo.
10.Dr. Hamada, Hassan 2005, The alienated man at Rak Fromm, Dar Al-Hikma Library, Cairo, Egypt
11.Khalifa, Abullatif Mohammed, 2003, A Study in the Psychology of Alienation, Gharib Publishing House, Ed. 1, Cairo – Egypt .
12.Dakhmoush, Fathia and Bn Salama, Al-Rab'I, 2005, Experience and Nostalgia in the poetry of Al-Andalusian Ibn Khafajah, research submitted to obtain a master's degree in ancient Arabic literature, College of Languages and Arts, Department of Arabic Language, University of Mentouri – Constantinople, Democratic Republic of Algeria.
13. Zakka, Tansi, 2015, Political Reading of Diaspora literature, Al-Farabi House, without Ed.
14.Zuhraddin, Ghazi Shakib, 2014, Kafr Faqqoud between 1920 and 2010, A Study of Historical, Economic and Societal Transformations, Ed. 1, Al-Shoof House for Books , Lebanon.
15. Shartah, Essam Abdulsalam, 2018, The poetics of Estrangement among Modern and Contemporary Poets, Ed. 1, Al-Mu'taz House.
16. Abd Rabba, Amen Saleh Mahmud, 1997, Alienation and Homesickness in Palestinian Poetry.
17.Abdalmutalib, Mohammed, 1995, Egyptian General Board for Book, Stylistic Readings in Poetry.
18. Al-Kubaisi Abdulwahid Hamid, and Al-Hayani, Sabri Bardan, 2012, Educational Guidance and Direction, Ed. 1, Debono Thinking Center, Amman – Jordan.
19. Labky, Butrus, Lebanese Emigration 1850 – 2018, Early Globalization Pathways, Al-Saer Al-Mashraq House, Lebanon – Beirut.
20. Luis, sidy, 2020, Poetic Image, translation (Ahmed Nasif Janabi, Malik Hiri, Salman Hassan Ibrahim) without Ed
21.Misaaddya,mizhir, 2013, The Theory of Alienation from the Arab and Western Perspectives, Al-Khaldunia Publishing House, Algeria.
22.Moses, ,Waffa , 2001,Alienation among Damascus University Students and its Relationship to Achieving Their Needs, Master Thesis, College of Education
23.Madness, Mahmud Salim, 2005, Alienation in the Ignorance Poem, Al-Kitab Al-Thaqafi House for distribution, Jordan – Arbid .